

(ج)

مقدمة الكتاب

المستاذ محمد نوميير السامح

اقترح المؤلف الفاضل المعروف بثقافته السامية ، وأدبه البليغ وآثاره القلبية النفيسة ، أن تكتب هذه الكلمة . وإنه ليشر فيها أن يضعها بجانب مقدمته تكريماً للصدقة .

أما الكتاب فهدية إلى من شاء أن يعمل في سبيل بلاده الشرقية « بإرادة وبصيرة وعلم وحزم » . وهو « من وحي الحوادث التي توالى على الدنيا ، ووحى « الاطلاع » على المصادر التاريخية والسياسية والديبلوماسية التي تزيل الأوهام وتصحح الأفهام . لم يوضع على برنامج أعد له بدءاً ، بل جمع أبحاثاً سبق نشرها أو نشر بعضها . ولكن وحي الحوادث والاطلاع لم يمنع أن يجيء فحوى الكتاب وروحه ، والآراء الذاتية الجديدة الواردة فيه ، ثمرة يانعة من شعور المؤلف وقريحته مهداة إلى القلوب والعقول؛ ولم يمنع أن تكون هذه الآراء سديدة — وإن اعتذر صاحبها من

أى خطأ محتمل بأنه إنسان يخطئ ويصيب متواضعاً باعتذاره
تواضع الخبير المستنير، ولا أن يدل سياق فصول الكتاب وأقسامه
على أن الذى رتبته عقل منظّم عرف فن التأليف . وهو صنيع
جدى ينتفع به من حننه الضمير على توخى المعرفة من كثرة المشتغلين
فى شرقنا بالسياسة والدبلوماسية ، الرسميين وغير الرسميين .

والحق أننا ، نحن معاشر أهل الشرق الأدنى ، على ضلال سلطويين
فى السعى لمطامعنا الذاتية ، وفى غرورنا وأوهاننا السياسية ،
وأساليب عيشتنا وما نسليه كفاحنا ؛ وصاحبنا على حق حيث يقول :
« ستفرغ على شعوب الأرض أنواع جديدة من الحياة وضروبها
وسيلقن الزعماء والقادة أشياء يتفوهون بها فيقولون أنها من عند
أنفسهم » ؛ وعلى حق أيضاً إن هو قصد إراحة ضميره بنشر أبحاث
لعلها تساعد فى إيقاظنا وهدينا الصراط المستقيم .

فان كثيراً من حوادث بلادنا وأحوالها ، قديماً وحديثاً ،
لا تبيّن حقائقه كلها إلا على ضوء كاف من واقع المنافسات
الاستعمارية وتدخل بعض الدول الكبيرة فى شؤوننا ، وتغلغل
النفوذ الأجنبي فى مصالحنا ؛ ونحن لا نتمكن من خدمتها بحكمة وليس
يتاح لنا الدفاع عنها ، فى حدود المستطاع ، إلا بقدر ما نعرف من

مصالح تلك الدول الحيوية وغير الحيوية ومن مصالح جيراننا ، وبخاصة في زماننا هذا الذى أصبح فيه استقلال كل دولة صغيرة أو كبيرة شيئاً نسبياً ، وتصرفها في سياساتها متأثراً من تصرف غيرها في سياساته .

وتلك حقائق لا تؤخذ من الكتب المدرسية والجامعية ، ولا من الصحف والبرقيات والدعائيات — وإن جاء فى أقوالها أحيانا تلميح يدرك مغزاه من يستطيع فهم الكلام على خلاف مقتضى الظاهر منه ، بل هى حقائق اما مظانها مثل هذا الكتاب الصادر عن تلك الثقافة النظرية العملية ، العديدة الألوان ، الوافية ، التى تهدى الشعور ويعتدل بها حكم العقل لرسوخ أصولها السليمة فى الوعى الباطن فلا يغتر صاحبها بالظواهر ، وإلا فان البصيرة يكثر أن يعترىها ، أمام مناظر التاريخ أو الأحداث السياسية ، ما يشبه أوهام البصر فتقدر أن الجوهرى فى هذه المناظر أو الأحداث هو أبرز ما يلفت النظر منها ، ولا تدرك أن الخطورة إنما هى للأمور القليلة الظهور ، المتسقة سيرتها ، الدائمة العامة .

فمن لا يتتبع فى التاريخ ، مثلاً ، سوى أعمال كبار ممثليه يرى فيه مناظر روائية جميلة لها وقع فنى رائع ؛ فان هو أدرك أن الأمور

يتصل ببعضها ببعض ويرتبط بدا له عندئذ أن خلف المظاهر السطحية الروائية أموراً هي أقل حركة وشماعاً وشأناً للناظر العادى الساذج ، ولكنها أجدر بلفت نظر المستطلع الذى يتوخى أن يعرف سر الأشياء ومصائر الأمور .

ومثل هذا المستطلع البصير يتضح له أن أقوى الأفراد من البشر حققوا لأنفسهم بالتسلط على الأضعفين ما لم يكن لذواتهم عنه غناء من أحوال العيشة الراضية ؛ ويتبين له أن طفيلية الأعزّة هى الغرض الظاهر أو الخفى ، المباشر أو غير المباشر ، من أكثر النظم التى تشكلت على توالى القرون وكنونت إطار المدنية ، حتى بعض ما يتضمن كنننته ؛ ويستيقن أن الكفاح لا ينقطع : كفاح أفراد فى سبيل السلطة العليا ، وكفاح طبقات للسيادة فى شعب ، وكفاح شعوب لحيازة الأرض وحاصلاتها ؛ فمن جهة ، يجد الحروب والمعاهدات الدولية ، والثورات والمقاومات ، والاختلافات الحزبية والأزمات والتراضى ، وكل أولئك أمور تدل على جهد الأناية الطفيلية فى أفراد وجماعات غرضهم استغلال ينيلهم أكثر ما يمكن من المنافع ؛ ويجد من الجهة الأخرى مقاومة الفرائس التى تدافع عن نفسها وما فتئت تغيير وجه الأناية ؛ وليس بد للضعيف من

المصانعة تحقيقاً لأغراضه ، في حدود المستطاع ، على التدرج حتى لا تقعده القوى المختلفة التي لا قبل له بها عن هذه الأغراض ، ولا وسيلة أمامه للتفادي من بعض الأضرار بغير حكمة ومصانعة ليست تحول دون التقدم بتؤدة نحو مثله الأعلى .

من أجل كل ما تقدم بيانه كان من أصول التأليف المفيد في الاستعمار الفرنسي في شمال افريقية ، أن يبدأ المؤلف بإيقاف كل قارئ على أصل الاستعمار الحديث واطواره ، وتوسعه الجارف ومشاكله وأثر هذا التوسع ؛ وأن يفهم العامة من المتعلمين ، والكثيرة من خاصتهم معهم ، أن كل دراسة لشؤون العالم بقصد الكفاح في سبيل تحرير الشعوب ، يجب أن يسبقها تعرف هذا التوسع وأثره ، وأهميته ومداه ، لكي نستخلص القواعد الأولية التي تعرفنا العلاقة بين الشعوب المحكومة والدول الحاكمة ، وهي التي تنير بصيرتنا وتحدد مركزنا إزاء أوربة لكي يركز على أساس منطقي معقول موقف الأجيال القادمة من هذه السيطرة وعلاقتها بما يجيش بصدور الشعوب من آمال ، وما ترجو الوصول إليه من أهداف حتى تحرر نهائياً . فإذا هم وقفوا على تلك الأمور كان من أنفع ما يتضح لهم أن السيطرة الأوروبية جاءت بنتيجتين ، إحداهما

الاستعمارية وما تنوى فرنسة إنشاءه من اتحاد بين مستعمراتها ؛
وحيث شرح السياسة الدينية التي تجريها الدولة الفرنسية اللادينية في
الأقطار الاسلامية الواقعة تحت حكمها .

الخلاصة أن هذا المجموع من الأبحاث كتاب جيد ، يُعتمد
عليه في فهم موضوع الاستعمار وسياساته الدولية ؛ ويحمل بمحب
الاطلاع والاستئارة أن يثق به ، ويقرأه بعناية وتفكر وإمعان ،
ليفهم مافي سطوره وما بين السطور ، أي ليدرك ما لم يقل مؤلفه
نما قال صراحة وتلميحاً ، وعرضاً موجزاً لحقائق الواقع في الشعوب
والدول والسياسات والمنافسات الاستعمارية ، تلك الحقائق التي
يجب الاهتمام بمنطقها . فهو كتاب ينفع زعماءنا وساستنا ، أخلصوا
أو لم يخلصوا ، وينفع كل قارئ من الشرق العربي يريد ألا تضلته
البرقيات والسفسطات السياسية والدعايات .

محمد نوح

القاهرة في ٢٠ من أكتوبر عام ١٩٤٨

obeikandi.com

الإهداء

إلى ذلك الرعيل من الرجال الذين قابلتهم فأوحت إلى
عمالهم ونظراتهم وأقوالهم :
بالإيمان والثبات والتضحية .

إلى الطليعة الأولى من شباب الأمم المظلومة التي بدأت
عمل بارادة وبصيرة وعلم وحزم والتي غرست في نفسها
غبة التغلب على المضاعب وخريزة مواجهة الأخطار .

إلى الذين يؤمنون بحق الشعوب المظلومة في الحياة ،
من أبناء الشرق والغرب ومن أبناء فرنسا نفسها .

أقدم هذا الكتاب ؟

المؤلف

مقدمة المؤلف

الى القارىء الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - الحمد لله والصلاة والسلام على محمد المبعوث لهداية العالم الذى جاء بكلمة الحق وفصل الخطاب فجهر بالقول ثم قرن القول بالعمل حين قاد الكتائب وباشر القتال وقام بالثورة الكبرى يومئذ حقت كلمة الله . وتحررت ارادة الانسان وتحطمت الاصنام الزائفة بعد عشرة قرون من الطغيان والجبروت على الشرق واهله .

٢ - وبعد فهذا كتاب ليس لي الفضل في إخراجه اذ جاء كله من وحي الحوادث التي توالى على الدنيا فهو مجموعة ابحاث وراء سبق لي نشرها او نشر بعضها في مجلة الرسالة الغراء . ولذلك لم اضع له برنامجا او خطة منطقية ترمى الى هدف معين

٣ - ولا يظن القارىء اني استجمعت كل المراجع التي وردت في نهاية الكتاب وتصفحتها عند كتابته وانما هي مجموعة من الكتب التي قرأتها منذ سنوات فاثرت في نظرتي لبعض الاشياء . لهذا فانا

مدین لها ولا اذکرها على سبیل التفاخر وانما على سبیل ارجاع الحق لاربابه .

٤ - ولقد تبدو بعض الاراء جديدة أو شخصية فهذه جاءت نتيجة دراسة بدأت منذ سنوات وبعد تفكير طويل لازمني مدة من الزمن ولهذا أراني مسئولاً امام القارىء عن هذه الناحية واقول اننى فكرت كإنسان فإن خاتنى التوفيق واخطأت فليس ذلك الا لانى انسان ومن طبيعة البشر أن يوفقوا أحياناً وان يخطئوا أحياناً
٥- تسير الأمور بخطوات سريعة على غير ما نبغى

فعند كتابة هذا الكلام كننا نواجه القوى المتجمعة لنزع اوطاننا من ايدينا .

اما اليوم فإننا نواجه القوى الجارحة التى تحاول ان تفرض الفناء والابادة علينا

فهل تغيرت اساليبنا ؟

وهل استيقظ النائم ؟

وماذا سيأتى به الغد ؟

هذه اسئلة يجيب عليها المستقبل

٦ - ستتغير الدنيا بعد عشر سنوات وستفرض على شعوب

الارض أنواع جديدة من الحياة وضروبها وسيلقن الزعماء والقادة

أشياء يتفوهون بها فيقولون انها من عند أنفسهم ولكنى مطمئن الى حقيقة ثابتة : هي

سيرى قارىء هذه الابحاث اننى لم احاول تضليله بتغيير الحقائق او التجنى على الحق وقد يأتى ناقد فيقول اننى كنت مخلصا مع نفسى اولائهم مع القارىء فهذه كلمة حق اريد بها الدفاع عن حق .

والصلاة عليكم ورحمة الله وبركاته

جيزة القسطنطية فى شارع الاهرام / ٤٠

١٢ شوال سنة ١٣٦١

١٧ اغسطس ١٩٤٨

احمد رمزي

مراقب

مصلحة التشريع التجارى والملكية الصناعية

بوزارة التجارة والصناعة